الرِّسَـــالة ٣١٩

إذا انقـــلبَتْ الأعْمِـــدَة

(Arabic – When the foundations are being destroyed)

أحبّائِى.. حَديثنَا اليَوْمَ مَوْضُوعُهُ: إذا انقـــلبَتْ الأعْمِـــدَة

ومِنْ سِفر المَزَامير نقرأ العَدَدَ الثالِثَ مِنَ المَزْمُور الحَادِى عَشَرَ:

"إذا انقلبَتْ الأعْمِدَة.. فالصِّدِّيقُ مَاذا يَفعلُ؟".[١]

كلّ بنَاءٍ يلزَمُهُ أعْمِدَة يقومُ عليْهَا. وأولُ عَمليّةٍ يقومُ بهَا المِعْمَاريُّيونَ هِى إنشَاءُ الأعْمِدَةِ اللازمَةِ لِلبنَاء. ويُنفِقونَ عليْهَا أمْوَالاً طائِلة مَهْمَا كَانتْ بَاهِظة التكاليف. هذا لِكى يَضْمنوا سَلامَة البنَاءِ كلِه. والبنَاءُ الشّامِخُ الذِى نرَاهُ يُناطِحُ السّحَابَ يَعتمِدُ على أعْمِدَة بَالِغَةِ القوّةِ والصّلابَة. وكلُّ مُجتمَع إنسَانِىٍّ يقومُ على أعْمِدَةٍ بشَرِيّة. يَنتخبُونَهُمْ بشَرطِ أنْ يتميّزُوا بالتفوُّق فِى الخبْرَةِ والدِرَايَةِ بالأمُور المُختصّةِ باحتياجَاتِ المُجتمَع. وتِلكَ الأعْمِدَة البشَرِيّة بمَجْهُودَاتِها المُخلِصَةِ تضْمَنُ لأفرَادِ المُجتمَع رجَالاً ونِسَاءً وصِغَاراً حَيَاة آمِنَة كَرِيمَة. وثبَاتاً وصُمُوداً أمَامَ المَشَاكِل المُحتمل مُوَاجَهَتهَا. وبذلِكَ يَرتقِى ذلِكَ المُجتمَعُ حَضَارِيّاً مُتضَامِناً مَعَ المُجتمَعَاتِ الأخْرَى نَظيره.

وكَمَا نعلمُ أنّ الإنسَانَ رُوحٌ ونفسٌ وجَسَدٌ. وكلُّ فردٍ لهُ احتيَاجُهُ الغَريزِىُّ لبنَائِهِ رُوحيّاً. والأعْمِدَة الرّوحيّة فِى المُجتمَع يَقعُ على كَاهِلِهَا مَسئوليّة الرعَايَةِ والحِرَاسَةِ والتقويَةِ والتوْجيهِ رُوحيّاً. لِضمَان جيل قوىٍّ فِى إيمَانِهِ وتنشِئَةِ جيل قادِم مُحَاط بمثل عُليَا مِنْ آبَاءٍ وأمّهَاتٍ أتقيَاءَ ومُعلِمينَ ومُعلِمَاتٍ رُوحيِّينَ أكفَاءَ. وكلمَا كَانَتْ الأعْمِدَة الرّوحيّة تتميزُ بارتبَاط وصِلة قويّة بالله. كانوا قَادِرينَ على تدْعيم التحْصينَاتِ اللازمَةِ لِضمَان سَلامَةِ شَعْبِ اللهِ مِنَ التلوُّثِ والعَدْوَى مِنَ العَالم الحَاضِر. لِيقفَ شَامِخاً صَامِداً أمَامَ العَدُوِّ الذِى لا يَتوقفُ عَنْ رَمْى سِهَامِهِ المُلتهبَةِ نَحْوَ أوْلادِ وبَنَاتِ الله. يقولُ بُولسُ الرّسُولُ فِى رسَالتِهِ إلى مُؤمِنِى أفسُسَ: " فإنّ مُصَارَعتنَا ليْسَتْ مَعَ دَم ولحْم. بلْ مَعَ الرؤَسَاءِ مَعَ السّلاطين. مَعَ وُلاةِ العَالم على ظلمَةِ هذا الدّهْر. مَعَ أجْنَادِ الشرِّ الرّوحيّةِ فِى السّمَاويّات".[٢]

إنّ نصرَةَ المُؤمِن مَضْمُونَة بلْ وَعَظيمَة. فبُولسُ الرّسُولُ فِى رسَالتِهِ إلى مُؤمِنِى رُومِيَة الأصْحَاح الثامِن يُعَدِّدُ مَيَادينَ الصِّرَاع التِى يُصَادِفهَا المُؤمِنُ ثمّ يَختِمُهَا بالقول: "ولكِنّنَا فِى هذِهِ جَميعِهَا يَعْظمُ انتصَارُنَا بالذِى أحبّنَا. فإنِّى مُتيقِنٌ أنّهُ لا مَوْتَ ولا حَيَاةَ ولا مَلائِكة ولا رُؤسَاءَ ولا قوّات ولا أمُورَ حَاضِرَة ولا مُستقبلة. ولا عُلوَ ولا عُمْقَ ولا خليقة أخْرَى تقدِرُ أنْ تفصِلنَا عَنْ مَحبّةِ اللهِ التِى فِى المَسيح يَسُوعَ رَبِّنَا". ونَحْنُ بصَدَدِ الحَديثَ عَنْ الأعْمِدَةِ الرّوحيّةِ التِى يقومُ عليْهَا البنَاءُ كلهُ وَهُوَ كنيسَة الله. نلفِتُ النظرَ أنّ الكنيسَة هِىَ البنَاءُ الجَميلُ الهنْدَسِىُّ ولا المكانُ الذِى يَحتلهُ البنَاءُ فِى المَدينَةِ أوْ القريَةِ التِى نَعيشُ فيهَا. إنّهَا نَحْنُ الأعْضَاءُ. الكنيسَة هِىَ أعْضَاءُ الجَسَدِ الوَاحِدِ الذِى رَأسُهُ المَسيحُ. أشَار إليْهَا الوَحْىُ بسِفر أعْمَال الرّسل الأصْحاح الثانِى بالقول: "وكَانَ الرّبُّ كلّ يَوْم يَضُمُّ إلى الكنيسَةِ الذينَ يَخلصُون". وأشَارَ إليْهَا الوَحْىُ بالأصْحَاح الثامِنْ بالقول: "وحَدَثَ فِى ذلِكَ اليَوْم اضْطِهادٌ عَظيمٌ على الكنيسَةِ التِى فِى أورُشليمَ فتشتتَ الجَميعُ فِى كورَ اليَهُوديّةِ والسّامِرَةِ". الكنيسَة ليْسَتْ طائِفة مُعيّنَة لأنّها تعْنِى جَمَاعَة المُؤمِنينَ فِى جَميع الطوائِفِ الذينَ قبلوا السّيِّدَ المَسيح مُخلِصاً لِخَطايَاهُمْ وفادِياً لِحَيَاتِهِمْ.[٣]

وبالرّجُوع إلى النّص الكِتابى الذِى قرَأنَاه : "إذا انقلبَتْ الأعْمِدَة. فالصِّدِّيقُ مَاذا يَفعلُ" عِنْدَ سُقوطِهَا. سَنرَى أنفسنَا أمَامَ أولّ الأعْمِدَةِ التِى سَقطتْ وَهُمَا آدَمُ وحَوّاءُ. خلقَ اللهُ آدَمُ ووَضَعَهُ فِى جنّةِ عَدْن "ليَعْملهَا ويَحْفظهَا". ثمّ خلقَ اللهُ لآدم قرينَة وهِىَ حَوّاءَ فلقدْ قالَ اللهُ: "ليْسَ جيِّداً أنْ يكونَ آدَمُ وَحْدَهُ. فأصْنَعَ لهُ مُعيناً نظيرَه". خلقهُمَا اللهُ ليتعَاونَا. فهلْ حقاً تعَاونَا؟. نَعَمْ تعَاونَا. وقدْ نتسَاءلُ: عَلامَ تعَاونَا؟. هلْ على الخَيْر تعَاونَا أمْ

---

[١] سِفر المَزَامير ١١: ٣ ، استمع إلى الإنجيل

[٢] رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ٦: ١٢

[٣] رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٨: ٣٧ – ٣٩ ، سفر أعمال الرسل ٢: ٤٧ & ٨: ١

على الشرّ؟. للأسفِ تعاونَا على الشرّ بمكيدَةٍ مِنْ إبليسَ. ودَمّرَ إبليسُ حَيَاتهُمَا دَماراً انتهَى بإخْرَاجهمَا مِنَ الجَنّة. وانقلبَ أولُ عمُودَيْن أقامَهُمَا اللهُ. قدْ نوَجّهُ عِتاباً إلى اللهِ قائلينَ: لمَاذا لمْ يمْنَعْ اللهُ أدَمَ وَحوّاءَ مِن ارتكَابِ الذنْب؟. لِمَاذا لا يَمْنَعُنَا اللهُ مِنَ الوقوع فِي الخَطأ حتى نتلافى عَواقبَهُ؟. وبالأخَصِّ الأعْمِدَة. لمَاذا يَسْمَحُ اللهُ لِلأعْمِدَةِ أنْ تنقلِبَ؟. ولكِنْ إذا أمْعَنّا النظرَ فِي الأمْر. فلنْ نَجدَ مُبَرِّراً لِتوْجيهِ عِتَابٍ أوْ لوْم إلى اللهِ. إذ أنّ حَوّاءَ سَمَحَتْ لإبليسَ أنْ يُغَيِّرَ فِكرَهَا عَن اللهِ بقولِهِ لهَا: أحقاً قالَ اللهُ؟. ومِنْ هنَا جَاءَتْ المَعْصيَة. وبإرَادَةٍ حُرّةٍ اختارَ الإثنَان طريقاً رَسَمَهُ لهُمَا العَدُوُّ. سمَحا لهُ أنْ يُشَكِكَهُمَا فِي أقوال الله. ومِنْ هُنَا جَاءَ حِرْمَانهُمَا مِنَ التمتّع بمَحْضَرِ اللهِ فِي الجَنّة.[1]

لقدْ خلقنَا اللهُ لنحْيَا مُرتبطينَ بهِ إلى الأبَد. وبمَحْض اختيَارنَا نكونُ قريبينَ مِنهُ أوْ بَعيدينَ عَنهُ. فالأمْرُ مَتروكٌ لإرَادَتِنَا ومَا نقرّرُهُ. لقدْ جاءَ بسِفر التثنيَةِ بالأصْحَاح الثلاثين قولُ اللهِ: "قدْ جَعلتُ قدّامَكَ الحَيَاةَ والمَوْتَ. البَرَكة واللعنَة. فاخترْ الحَيَاةَ لِكي تحْيَا أنتَ ونَسلكَ". نَحْنُ بلا عُذر إذا اخترنَا اللعنَة ورفضنَا البَرَكَة والحَيَاةَ. إنّ الرّبّ يُوجّهُ إلينَا النُّصْحَ بقولِهِ: "فاخترْ الحَيَاةَ لِكي تحْيَا أنْتَ ونَسلكَ". فلمَاذا تَسقط الأعْمِدَة؟. لِكَوْنِهَا أسَاءَتْ الاختيَار. بكلِّ تأكيد سُقوط الأعْمِدَة يُحزنُ قلبَ الله. فليتنَا ندْركُ الخَطأ ونتَحَاشَاهُ ونميِّزُ الصَّوَابَ ونتمَسكُ بهِ.[2] وبالتأمّل فِي المَزْمُورالحَادِي عشَرَ وَهُوَ يَشْملُ سَبْعَة أعْدَادِ. نَرَى أمُوراً نَافِعَة لِحَيَاتِنَا الرّوحيّةِ نوجزُهَا فِي ثلاثة:

أولاً: الرّبُّ يَمتَحِنُ الصدِّيقَ.. الحَيَاة الرّوحيَة مَدْرَسَة نتعلمُ فيهَا كيْفَ نَحْيَا بالإيمَان لا بالعَيَان. ولا بُدّ مِنَ الامتِحَان كيْ يَخُوزَ خريجُوهَا على دَرَجَاتٍ تظهرُ تفوُقَ إيمَانَهُمْ. وفيهَا يَعْظمُ انتصَارُهُمْ بالذِي أحَبّهُمْ إلى المُنتهَى. قدْ يُذْهِلنَا أحْيَانا فوْزُ مَنْ كنّا نتوقعُ فشَلَهُ. حتى أسئِلةِ الامتحَان قدْ تحَيّرُنَا فمَنْ كانَ يتوقعُ أنْ سُؤالاً كهذا يُوجّهُ مِنَ الرّبِّ إلى إبْرَاهيمَ خليلهُ. فبالأصْحَاح الثانِي والعِشْرِينَ مِنْ سِفر التكوين جَاءَ ذلِكَ السُّؤال: "وَحَدَثَ أنّ اللهَ امتحَنَ إبْرَاهيمَ قائِلاً لهُ: خُذ ابْنَكَ وَحيدَكَ الذِي تحبُّهُ إسْحقَ. واذهَبْ إلى أرْض المُريّا وأصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَة على أحَدِ الجبَال الذِي أقولُ لكَ" وحتى الاستجَابَة الفوْريّة مِنْ إبرَاهيمَ مَنْ يتوقعُهَا؟. إذ مكتوبٌ: "فبكّرَ إبرَاهيمُ صبَاحاً وأخَذ إسحقَ ابْنَهُ وَرَبطهُ وَوَضعَهُ على المَذبَح فوْقَ الحَطبِ ثمّ مَدّ إبراهيمُ يَدَهُ وأخَذ السكِينَ ليَذبحَ ابنَهُ" ونَحْنُ نعْرفُ مَا حَدَثَ بَعْدَ ذلِكَ. رَجعَ إبرَاهيمُ وإسحقَ والغلمَان إلى بئر سَبْع. لقدْ ثبتَ إبرَاهيمُ كالطوْدِ الشّامِخ لذا حُسِبَ لهُ برّاً.[3]

ثانياً: الصدِّيقُ يُرْمَى بالسِهَام.. بالعَدَدِ الثانِي مِنَ المَزْمُور مكتوبٌ: "لأنّهُ هُوَذا الأشْرَارُ يَمدّونَ القوسَ. فوّقوا السّهْمَ فِي الوتر. ليَرْمُوا فِي الدُّجَى مُستقيمِي القلوب". بلا شَكٍّ صوَبّتْ قوَى الشرّ سِهَامَهَا ضِدّ إبرَاهيمَ خليل الله. فلمْ تكنْ الأيّامُ الثلاثة التِي مَرّتْ عليْهِ فِي امتحَانِهِ بَرْداً وسَلاماً. بلْ نَاراً ولهيباً كالأتون الذِي حُمِيَ سَبْعَة أضْعَافٍ للفتيَةِ الثلاثة الذينَ جَاءَ ذكرهُمْ بسفر دَانيال. مَا يَدْعُو للأسَفِ أعْمِدَة تتقلب انقلابَاً رَهيباً كآدَمَ وحوّاءَ مِنْ سَهم أصَابَهُمَا مِنْ عَدُوِّ الخيْر. وما يَدْعُو للفخر أعْمِدَة تبقى رَاسِخَة فِي الإيمَان رُسُوخَ الجبَال كإبرَاهيمَ خليل اللهِ.[4]

ثالِثاً: مَاذا يَفعلُ الصدِّيقُ؟!. (١) يَتكِلُ كَامِلاً على الله.. يقولُ دَاوُد النّبيُّ بالعَدَدِ الأول مِنَ المَزْمُور: "على الرّبِّ توكلتُ. كيْفَ تقولونَ لِنفسِي اهْرُبُوا إلى جبَالِكمْ كعُصفور. (٢) يَثِقُ بالرّبِّ الجَالِس على عَرْشِهِ وَعَينَاهُ تنظرَان.. فبالعَدَدَ الرّابع يقولُ: "الرّبُّ فِي هَيكل قدْسِهِ. الرّبُّ فِي السّمَاءِ كرْسيهِ. عَيْنَاهُ تنظرَان". (٣) يَطمئِنُ إلى عَدل اللهِ وحُبِّهِ لِلعْدل. فبَالعَدَدِ السّابع يقولُ: "لأنّ الرّبّ عَادِلٌ ويُحبُّ العَدْلَ. المُستقيمُ يُبْصِرُ وَجْهَهُ". إنّ الكتابَ المُقدّسَ يقدّمُ لنَا مُثلاً عُليَا لِنقتدِيَ بهمْ كإبرَاهيمَ ويُوسُفَ ودَانيالَ والفتيَة الثلاثة وكثيرينَ أخَرينَ. ومَثلنَا الأعْظمُ هُوَ الرّبّ يَسُوعُ. كتبَ عنْهُ بُطرُسُ الرّسولُ فِي رسَالتِهِ الأولى الأصْحَاح الثانِي يقولُ: "تاركاً لنَا مِثالاً لِكَيْ تتبَعُوا خَطوَاتِهِ". فإذا انقلبَتْ الأعْمِدَة فالصدِّيقُ يتوكلُ على الرّبِّ ويَضَعُ كلّ ثقتِهِ فِي جَلالِه. ويَطمئِنُّ إلى عَدلِهِ.

أدْعُوكَ أخِي القارئ العزيز لِتشتركَ مَعِي فِي تِلكَ الصّلاةِ: أبَانَا السّمَاوِيّ.. مَا أعْظمَكَ يَا قديرُ. عليكَ يتوكلُ عَارفوكَ. وبكَ يثِقُ مُحبُّوكَ. لأنكَ لا ترُدُّ أبَداً طالِبُوكَ. أسألكَ نِعْمَة تعينني لأحيَا حَسْبَ مَا يُرضيكَ. أرفعُ صَلاتِي فِي اسْم يَسُوعَ فادِيّ. مُتكِلاً على وَعدِكَ الصَادِق. يَا مَنْ قلتَ: مَنْ يُقبلْ إليّ لا أخْرجْهُ خَارجاً.

أخِي القارئ العزيز.. إنْ أرَدْتَ سَمَاعَ تِلكَ الرِّسَالةِ أوْ غَيرهَا ستجدُ ذلِكَ فِي:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm

---

[1] سفر التكوين ٢: ١٥ – ٢٥ & ٣: ١ – ٢٤
[2] سفر التثنية ٣٠: ١٩
[3] رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ٤: ١٨ ، سفر التكوين ٢٢: ١ – ١٨
[4] سِفر المَزَامير ١١: ٢ ، سفر دَانيال ٣: ١٩